ظاهرة التخلف ومسألة التنمية: دراسة في ضوء فكر مالك بن نبي

The phenomenon of underdevelopment and development: a study in the light of Malik Bin Nabi thought

يوسف أزروال

جامعة تبسة، الجزائر، drazeroualyoucef@gmail.com

تاريخ الإستلام: 2019/01/21 تاريخ قبول النشر: 2019/04/22

ملخص:

يهدف البحث في ظاهرة التخلف ومسألة التنمية في ضوء فكر مالك بن نبي إلى التوقف عند أهم ما جادت به قريحة مالك بن نبي في إطار الفكر التنموي الإسلامي، حيث انطلق المفكر مالك بن نبي في تناوله لظاهرة التخلف من معالجته مشكلات العالم الإسلامي في سياق "مشكلات الحضارة"، والتي ربطها أساسا بعامل الاستعمار، كما يهدف إلى توضيح تصور المفكر مالك بن نبي لظاهرة التخلف وطبيعته وأشكاله وأسبابه، وكذلك فحص نظريته حول التنمية من خلال كتابه "شروط النهضة" الذي اقترح فيه عدة بدائل للخروج من حلقة التخلف.

الكلمات المفتاحية: الاستعمار؛ القابلية للاستعمار؛ التكديس؛ التغيير الاجتماعي؛ ركائز التنمية.

Abstract :

The aim of the research in the phenomenon of underdevelopment, the issue of development in the light of Malek Bin Nabi thought to stop at the most important by talent Malek Bin Nabi in the framework of the Islamic development thinking, where Malek Bin Nabi thinker in addressing the phenomenon of underdevelopment, addressed the problems of the Islamic world in the context of the "problems of civilizations", which linked mainly by a factor of colonialism, it also aims to clarify the perception of Malek Bin Nabi thinker, nature and causes of the phenomenon of underdevelopment and forms, as well as examining the theory of development through his book "terms of Renaissance"; which proposed several alternatives to get out of the cycle of underdevelopment.

Keywords: colonialism; colonisability; accumulation; social change; pillars of development

* المؤلف المرسل: يوسف أزروال، drazeroualyoucef@gmail.com

مقدمة:

ولعل من أبرز ما كتب حول الفكر التنموي في العالم الثالث ما قدمه المفكر الحضاري الإسلامي الجزائري مال بن نبي، والذي هو محور دراستنا في هذه الورقة البحثية، إذ نحاول عبر محاور هذه الدراسة أن نتناول وجهة نظر أبرز مفكري العالم الإسلامي والعربي، لا سيما الفكر التنموي الإسلامي الذي بقي مجهولا لدى شريحة واسعة من الباحثين، فالمفكر مالك بن نبي عالج مشكلات العالم الإسلامي من خلال سلسلته العلمية المحكمة "مشكلات الحضارة"، أين انطلق من ظاهرة التخلف وربطها بعامل الاستعمار، كما طرح تصوره حول بناء حضارة أصيلة في مرجعياتها وأسسها، وكذلك إبراز السوسيولوجية التنموية التي ميزت أعماله، كما نسعى إلى توضيح تصور المفكر مالك بن نبي لظاهرة التخلف وطبيعته وأشكاله وأسبابه، ونختم هذه الورقة بمحور نتبع من خلاله جهوده الفكرية والتنظيرية في اقتراح بدائل للخروج من حلقة التخلف، معتمدا في ذلك على مقاربة تنموية قائمة على وجوب التغيير الاجتماعي بنائيا ووظيفيا، وكذلك وضع أسس وقواعد للتنمية وأولوياتها داخليا وخارجيا.

إشكالية البحث وفرضياته: جاءت هذه الورقة البحثية لتفكيك الحدود المعرفية والفلسفية بين ظاهرة التخلف وعملية التنمية؛ من خلال فحص مختلف الأطر الفكرية التي جاء بها المفكر الجزائري مالك بن بني بخصوص عملية التنمية، وكيف تفاعلت الأمة مع أطروحاته حول مسألة التنمية، وما هي رهانات التنمية حسب ما جاء في أطروحة مالك بن نبي؟

وللإجابة على إشكالية البحث، افترضت ما يلي:

- ترتبط ظاهرة التخلف في المجتمع العربي والإسلامي بالعديد من العوامل، منها العوامل الداخلية والعوامل الخارجية.

- يقتضي فك حلقة التخلف واللحاق بالركب الحضاري وتجسيد التنمية عند مالك بن نبي تفعيل تجسيد مرتكزات مثلث التنمية الثلاث، الإنسان، التراب، والوقت.

وبما أنه يستوجب كل بحث اعتماد هيكل أو خطة معينة لدراسته وتحليله، فإن خطة الورقة البحثية جاءت في العناصر التالية:

أولا- ظاهرة التخلف: المضمون، الأسباب والمظاهر

ثانيا- مسألة التنمية: المضمون، الأركان، والمستويات.

أولا- ظاهرة التخلف: المضمون، الأسباب والمظاهر

1- المضامين المختلفة لظاهرة التخلف: فيما يتعلق بمفهوم التخلف كظاهرة يجري الحديث عنها على مستويين مختلفين، مستوى عام يتعلق بتحديد ملامح عامة للمجتمعات المتخلفة، دون تخصيص لميدان معين، مثل وصف التخلف بأنه يتضمن: ضعف التصنيع، التفاوت الطبقي، التبعية الاقتصادية، وتدبير الموارد وضعف الولاء السياسي، وازدواجية الاقتصاد والثقافة بين الحداثة والتقليد...الخ، وعلى مستوى أكثر تخصيصا يمكن

الحديث عن التخلف قياسا بمجالات محددة سواء كانت المجال الاقتصادي، أم الاجتماعي، أم السياسي، أم الثقافي(الحسني، 1982، صفحة 42).

التخلف لغةً مأخوذ من خلف: ضد قدام، وخلفه يخلفه صار خلفه، واختلفه وخلفه وأخلفه جعله خلفه، والتخلف التأخر (ابن منظور).

أما مفهوم التخلف اصطلاحًا يعرفه بول هوفمان ***Paul Hauffman*** بأنه "الدول المتخلفة هي تلك التي ينتشر فيها الفقر والفقراء في مدنها وقراها، والتي يعيش فيها القرويون عيشة الكفاف، إنها الدول التي لا يوجد فيها مصانع قوية تملكها، والتي تنقصها موارد القوى المحركة والكهرباء، وتقل فيها المستشفيات والمدارس ودور الثقافة ومعظم سكانها أميون"(المولى، 1990، صفحة 52)

كما يعرف ألفريد سوفي ***Alfred Sauvy*** التخلف من خلال تحديد جملة من الميزات وهي؛ ارتفاع نسبة الوفيات وبخاصة وفيات الأطفال، وانخفاض متوسط العمر المتوقع للفرد والخصوبة المرتفعة وسوء التغذية وارتفاع نسبة الأمية، وتفوق نسبة المشتغلين بالزراعة بشكل كبير مقارنة بعدد المشتغلين بالصناعة، وانحطاط المستوى الاجتماعي وتشغيل الأطفال...والخضوع لنظام تعسفي أوتوقراطي(المولى، 1990، صفحة 62).

وقدم المفكر الحضاري مالك بن نبي العديد من التصورات لظاهرة التخلف، على اعتباره ظاهرة حديثة أفرزتها الحرب العالمية الثانية، حيث اعتبر التخلف ظاهرة اجتماعية يكون عليها الإنسان في مرحلة ما قبل الحضارة (بن نبي، تأملات، 1991، صفحة 61)، كما يعبر مفهوم التخلف حسبه عن ملامح مشكلة يعانيها الإنسان، ترتبط بعدم تعلمه لسبيل استعمال وسائله الأولية المتمثلة في التراب والزمن بشكل فعال، كما لم يدرك تعلمه من هذا الاستعمال، مع العلم أن فعالية الإنسان هي التي تساهم في تحديد بقية العوامل (بن نبي، القضايا الكبرى، 1991، صفحة 70).

ويربط المفكر مالك بن نبي التخلف بالوضع الاجتماعي للشعوب الآفرو آسيوية، يمكن البرهنة عليها ببعض الأرقام كمتوسط الدخل الفردي من حيث قيمته الاجتماعية لا المالية، أي بما يكفله هذا المتوسط من ضمانات اجتماعية في وطن ما، والذي لو قمنا بتوزيعه على الخريطة لحدد لنا قارتين؛ قارة يسْر، قارة عسْر، فكلمة عسر هي التعبير الأدبي على الواقع الاجتماعي الذي يعبر عنه مصطلح التخلف، وعلى ذلك فالمجتمع المتخلف هو الذي لا يقدم الضمانات الاجتماعية لأفراده ويمكنه أن يقدمها(سعود، 2006، صفحة 140).

كما أن التخلف عند مال بن نبي يعبر عن نقص الوسائل على الصعيد الاقتصادي، ينوء حمله الاقتصادي بجانب سلبي جديد من الوجهة النفسية، هو سوء الانتفاع بالوسائل، فضلا عن كون المجتمع المتخلف ليس موسوما فقط بنقص الوسائل المادية(الأشياء)، وإنما بالافتقار للأفكار، يتجلى بصفة خاصة في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه بقدر متفاوت من الفاعلية وفي عجزه عن إيجاد غيرها (بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، 1978، صفحة 46).

2- الأسباب المؤدية للتخلف: يمكن بصفة عامة رصد مجموعتان من العوامل المسببة لظاهرة التخلف، تتمثل فيما يلي:

المجموعة الأولى: تتمثل في العوامل الداخلية المرتبطة بمجمل البناء الاجتماعي في البلدان المتخلفة منذ فترة ما قبل الثورة الصناعية، وهي العوامل التي أعاقت نمو تلك المجتمعات على النحو الذي شهدته المجتمعات المتقدمة، كما أنها لا زالت تعمل تأثيرها داخل تلك البلدان بشكل يعوق تحقيق التنمية الشاملة والحقيقية فيها(الحسني، 1982، صفحة 44).

المجموعة الثانية: تتمثل في العوامل الخارجية والمرتبطة أساسا بالنظام الليبرالي منذ أن بدأت السيطرة الاستعمارية على أجزاء العالم الأخرى، بحثا عن الأسواق والمواد الخام، حيث أحدثت تلك السيطرة العديد من الآثار السلبية الخطيرة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية على تلك المجتمعات(Roxbotough، 1979، الصفحات 24-25)، ويقتضي فهم تخلف الدول المتخلفة وفهم وسائل تنميتها فهما عميقا تاريخيا وبنائيا للعوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في تدعيم حلقة التخلف(حرب، 1987، صفحة 12).

3- أسباب التخلف لدى مالك بن نبي: بما أن موضوع بحثنا منصب حول ظاهرة التخلف ومسألة التنمية على ضوء فكر مالك بن نبي، سنورد أهم أسباب التخلف لديه كما يلي:

1.3- معامل القابلية للاستعمار(عامل داخلي): يعد مفهوم القابلية للاستعمار(***la colonisabilité***) أحد أهم المفاهيم التي انفرد بها المفكر الحضاري مالك بن نبي، وكان الهدف منها التوصيف النهائي للحالة التي أضحى عليها الواقعين الاجتماعي والثقافي للمجتمع الخارج من دورة الحضارة، ويعنى حسب مالك بن نبي مفهوم القابلية للاستعمار بانهزام الذات التي تعرضت للغزو، ويرتبط ظهور مفهوم القابلية للاستعمار بسنة 1948 من خلال كتابه "شروط النهضة" واصفا به جملة الشروط والأوضاع الفكرية، النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية السلبية، حيث تفرض على المجتمع أن يتواجد في حالة من الضعف والقصور والعجز إزاء التحديات المحيطة به، فيجد نفسه في حالة وهن حضاري يفقده القدرة على رد ومواجهة التحديات(برغوث، 2004، صفحة 35).

لقد أصدر بن نبي كتاب "شروط النهضة" سنة 1949، وتحدث فيه لأول مرة عن مفهوم القابلية للاستعمار بنبرة تعليمية كان الغرض منها تحسيس الجزائريين بأسباب تدهورهم وقابليتهم للاستعمار، ثم تبيين طرق ووسائل الخروج من تلك الحالة، وهذا ما أطلق عليه اسم شروط النهضة. وهو يبدأ بالتمييز بين العوامل الدّاخلية في انعدام الفاعلية، وهي عوامل راجعة إلى القابلية للاستعمار، والعوامل الخارجيّة التي تتعلّق بالاستعمار. ويطلق مصطلح (معامِل التحقير الذاتي ***coefficient autoréducteur***) على كل الاستعدادات الذهنية التي يحافظ بها الإنسانُ المُسْتَعْمَرُ على قصوره، ويبرر بها عجزه(بوكروح).

ويمثل معامل القابلية للاستعمار موقف نفسي يتعلق بضعف الشعور بالولاء للوطن والكرامة القومية، وضعف الحماية والحماس لقضايا الوطن والأمة، والانصراف إلى الاهتمام بقضايا معيشية يومية، والانشغال بلوازم ومتطلبات الحياة الاجتماعية للفرد وأسرته، إن هذا الموقف النفسي قد لا يصل إلى حد العمل الايجابي لتدعيم روابط التبعية للخارج، ولكنه يشكل احتياطا فعالا لحماية ودعم من يقوم بهذا النشاط الايجابي(فتيح، 2017، الصفحات 61-62).

فما قصده بن نبي بهذا المفهوم إذا هو تبيين حالة من العلاقات الاجتماعية، ونمط من الروابط بين الأفراد، وآفة اجتماعية معرقلة لكل حركية اجتماعية... فكثيرة هي الشعوب التي تحررت من نير الاستعمار خلال

القرن الماضي وجدت حالتها تزداد سوءا وهي نفسها في تدهور وتراجع إلى الفوضى والحرب الأهلية والمناوشات القبلية. لقد تمكنت تلك الشعوب من الاتحاد ضد العدو، ومن العمل الجماعي المنسق. لكنها عادت إلى الفرقة والرشوة والانقلابات بمجرد أن تم إجلاء ذاك العدو. وهنا تظهر القابلية بوجه جديد يتمثل في التأخر، والتبعية للخارج، والمديونية، والعجز عن التكفل بالشؤون الخاصّة(بوكروح)...

فمعامل القابلية للاستعمار يمثل العامل الداخلي المتجاوب مع العامل الخارجي، فهو امتثال داخلي بعمق للاستعمار، يعمل على ترسيخه مما يجعل من الصعب التخلي عنه، فالاستعداد النفسي من قبل الشعوب المستعمرة الخاضعة للاستعمار يعد عامل قوي لاستمرارية واستدامة بقاء الاستعمار وهيمنته، فانهزام الذات والقابلية للاستعمار مرتبطة أيضا حسب المفكر مالك بن نبي بقوله: " معامل آخر ينبعث من داخل الفرد الذي يقبل على نفسه تلك الصبغة، والسير في تلك الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار وحدد له فيها حركاته وأفكاره وحياته" كما يضيف أيضا في قوله: "القابلية للاستعمار ليس له من شك بأن تلك الأفعال الاستعمارية من اقتلاع وتدمير وتغيير وتغريب كانت لها الآثار السلبية والتخريبية على المجتمع والإنسان الجزائريين في مختلف الأبعاد الأخلاقية والنفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية (بن نبي، آفاق جزائرية، 1964، صفحة 23).

من جهة أخرى يشير المفكر مالك بن نبي إلى إلزامية الانفكاك من كل تبعات الانتكاسة والإخفاق والتخلف، لأنه تعتبر من بين الأسباب الداخلية المسببة لظاهرة التخلف، والناتجة في مجملها عن معامل القابلية للاستعمار، لذلك فضروب الفشل والخمول والكسل والفوضى الحياتية تتغذى من متغيرات نفسية قوامها عدم القدرة والعجز والاستحالة، ويدلل في هذا السياق المفكر مالك بن نبي عن الأسباب الواهية التي تبرر بها أشكال العجز والكسل، حيث تؤدي دور بارز في في تعطيل الجهود وتكبيل الإرادات الفاعلة(سعود، 2006، صفحة 149)، فهي حسبه تفرض على الإنسان والفرد وكذا النشاطين الفردين والجماعي التأرجح بين طرفي معادلة ذهان السهولة***(psychose de la chose facile)*** وذهان الاستحالة ***(psychose de la chose impossible)***(بوكروح).

وتستند هذه الثنائية إلى متغيرات ثلاث، هي كالتالي(سعود، 2006، صفحة 150):

- متغير عدم القدرة على فعل الأشياء بحكم الجهل؛

- متغير عدم القدرة على أداء العمل بحكم الفقر؛

- متغير عدم القدرة على التصور بحكم وجود الاستعمار.

2.3- المعامل الاستعماري(عامل خارجي): "المعامل الاستعماري" عامل خارجي يفرض على الكائن المغلوب على أمره الذي يسميه المستعمر "الأهلي" نموذجا محددا من الحياة والفكر والحركة وحين يكتمل خلق هذا النموذج يظهر من باطن الفرد معامل "القابلية للاستعمار" وهو معامل يجعل الفرد يستبطن مفاهيم المستعمر عنه ويقبل بالحدود التي رسمها المستعمر لشخصيته، ليس ذلك فحسب بل يدافع عنها ويكافح ضد إزالتها(السنوسي، 2017).

يتعلق مفهوم الاستعمار حسب مال بن نبي بما يفرضه الاستعمار من دور سلبي يصطلح عليه رياضيا بالمعامل(***coefficient***)، والذي يعتبر عامل خارجي يفرضه الغالب على المغلوب وفقا لمحددات الفكر والحياة

والحركة، فقد كان القائد الفرنسي بوجو ***Peugeot*** –وهو في عهد الاحتلال الصورة المقابلة لصورة الأمير عبد القادر- أول فرنسي أدرك حقيقة الشعب الجزائري، وما ينطوي عليه من عبقرية فذة إدراكا، وضع بمقتضاه الطريقة المناسبة لاستقرار الاستعمار.

فالعامل الاستعماري في الواقع يخدع الضعفاء ويخلق في نفوسهم رهبة ووهما، ويشلهم عن مواجهته بكل قوة، وأن هذا الوهم يتعدى أثره إلى المستعمرين أنفسهم، فيغريهم بالشعوب الضعيفة، ويزين لهم احتلالهم إذ يحاولون إطفاء نور النهار على الشعوب المتيقظة، ويدقون ساعات الليل عند غرة الفجر، وفي منتصف النهار لترجع إلى العبودية والنوم.

وقد ميز مالك بن نبي لدى دراسته للمعامل الاستعماري بين دورين هما، الدور الأول الايجابي في الظاهرة الاستعمارية(الدور الايجابي)، والدور الثاني السلبي أو ما يطلق عليه بالمعامل الاستعماري(الدور التعطيلي)، فالدور التحفيزي للاستعمار ينظر إليه مالك بني نبي بأنه يدخل في حياة الشعب المستعمر بصفته عاملا مناقضا يعينه على التغلب على قابليته له(سعود، 2006، صفحة 156)، حتى أن هذه القابلية التي يقوم على أساسها الاستعمار تنقلب إلى رفض لذاتها في ضمير المستعمر، فيحاول جهده التخلص منها (بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، 1986، صفحة 94)، فالاستعمار قام من دون أن يشعر بدور تحفيزي مارسه، حيث أعان الشعوب على التغلب على قابليتها له دون قصد، ويقول المفكر مالك بن نبي في هذا الشأن: "إن المشروع الاستعماري بصرف النظر عن الاعتبارات الأخلاقية ولا يخلو من فائدة أساسية في نهاية الحساب، فقد سجل بالنسبة للمستعمر نفسه نقطة الانطلاق في تغيير حياته وتحريرها" (بن نبي، 1992، صفحة 49).

أما عن الدور التعطيلي للاستعمار يعتبره مالك بن نبي نكسة في التاريخ الإنساني، فالدور السلبي للاستعمار يربطه بالمعامل الاستعماري، فحين يستعمر بلد معين فإنه لم يستعمرها لكي يحرك عجلة التنمية أو يقضي على براثن التخلف بها، فهو يأتي لاستغلالها واستنزافها والتوسع على حسابها، فالاستعمار يعمل وفقا لسياسة مدروسة تكفل له وجود مستعمرين ضيع فيهم قيم الجوهر(سعود، 2006، الصفحات 157-158)، وحطم فيهم معاني الإنسانية، وزرع فيهم الشعور بالنقص، وحطم فيهم قواهم الكامنة، وقلل من قيمتهم، ومنع المستعمر من الأشياء التي تغذي جسمه وتنمي فكره، ووضع في وجهه الحواجز حتى يغدو كائنا مشوها في إنسانيته(الجفائري، 1990، صفحة 51).

وحسب المفكر مالك بن نبي فإن الدور التعطيلي للاستعمار مس العديد من جوانب الحياة المتعددة، حيث يعمل على بث وبعث وإحياء تقاليد وعادات سلبية ونشره الانحراف وتشويه المنظومة الأخلاقية وكل ما يحط من قيمة الفرد وكرامته، فالمستعمر يعمل على إبقاء كل الأفراد والمجتمع أسير حلقة التخلف، وهذا على المستوى الاجتماعي. كما يعمل الاستعمار على ممارسة التضييق الممنهج على الحياة الفكرية للأفراد(سعود، 2006، صفحة 159)، نظرا لما تتمتع به من أهمية في إطلاق العنان لطاقات الإنسان الكامنة وذلك عبر استخدامه كل وسائل التحطيم التي تشل نشاطه، وكذلك تشل حياته الفكرية والثقافية، كل ذلك على المستوى الفكري والثقافي (بن نبي، في مهب المعركة: إرهاصات الثورة، 1991، الصفحات 43-44)، بالإضافة إلى أن الاستعمار يذهب بعيدا ليتدخل حتى في الحياة الخاصة للفرد، أين يفرض عليه الرقابة تبعا لرغبة المستعمر، لاسيما التدخل في الدين الأمر الذي يجعل منه صورة عجيبة من حياة أصحابه المستعمرين وهذا على المستوى الديني (بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، 1986، الصفحات 116-117). ويمارس الاستعمار أيضا دوره التعطيلي

عبر هدم المقومات الأساسية للإقلاع الاقتصادي والحضاري، والعمل على استنزاف الفائض الاقتصادي، وحجر الموارد لصالح المستعمر، حيث أسهم في التخلف الذي تعيشه الدول التي تعرضت للاستعمار، وهذا على المستوى الاقتصادي (بن نبي، في مهب المعركة: إرهاصات الثورة، 1991، صفحة 46).

يركز مالك بن نبي من جهة أخرى على مفهوم الأفكار وكيفية إدارة الاستعمار لهذا المتغير، حيث يرتكز على العديد من الآليات التي يعتمدها الاستعمار في عملية إدارة الصراع الفكري، فالاستعمار أخذ يتحول من مفهوم أحادي صلب إلى مفهوم تعددي مرن يتضمن القوى السياسية والاقتصادية والفكرية المنتشرة عبر النطاقين الإقليمي والعالمي، والذي تتصارع فيه المصالح والأفكار من أجل كبح كل فعل نهضوي، وعليه فالصراع الفكري هو"وسيلة أو نسق من الوسائل يستعملها شعب أو مجموعة من الشعوب، للحط من أفكار الخصم أو لإبطال مفعولها أو لتحويلها عن الهدف المنشود، أو لتعفينها أو لشلها أو لإدماجها أو لعزلها عن الجمهور عزلا تاما أو جزئيا"(سعود، 2006، صفحة 161).

يقول في كتابه الصراع الفكري: "إن الاستعمار قد جاء إلى العالم الإسلامي نتيجة مرض أساسي عندنا، هو القابلية للاستعمار.. وهو نتيجة الصراع الفكري الذي خطط له الاستعمار وأحسن إحكام الخطة.. لقد سلط الاستعمار الأضواء على المشكلات الهامشية، بينما ترك في الظلام كل رؤية منهجية سليمة.. تفتح الطريق أمام حركة التاريخ"(المسلماني، 2011).

وقد ذهب المفكر مالك بن نبي إلى اعتبار أن هذا الشكل من الصراع أحد أكثر الأشكال انتشارا على المستوى العالمي، بعد أن تراجع الشكل التقليدي للظاهرة الاستعمارية التقليدية، في هذا الصدد يشرح مالك بن نبي في كتابه "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة" العديد من التجارب الواقعية التي توضح أساسا الأساليب التدميرية التي يمارسها المستعمر وغرف الأفكار في الدول المستعمرة، أما الصراع الفكري يجتهد من خلاله المستعمر في امتصاص القوى الواعية في البلاد المستعمرة بأي طريقة ممكنة حتى لا تتعلق بفكرة مجردة، وبديهي أنه سيحاول تعبئتها لحساب فكرة متجسدة حيث تصبح أقرب إليها منالا، لأنه يمكنه مقاومتها إما بوسائل القوة أو وسائل الإغراء، كما سيواصل في الوقت نفسه حربه ضد الفكرة المجردة بوسائل ملائمة فيها أكثر مرونة، مستعينا في ذلك بالخارطة النفسية للعالم الإسلامي، أين يقوم من خلالها رجال متخصصون مكلفون برصد الأفكار بإجراء التعديلات اللازمة في كل يوم، فإنه يرسم خططه الحربية ويعطي توجيهاته العملية على ضوء معرفة دقيقة لنفسية البلاد المستعمرة، معرفة تسوغ له تحديد العمل المناسب لمواجهة الوعي في تلك البلاد حسب مختلف مستوياته وطبقاته، إنه يستخدم لغة "الفكرة المتجسدة في مستوى الطبقة المثقفة، فيقدم للمثقفين شعارات سياسية تسد منافذ إدراكهم إزاء الفكرة المجردة" (بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، 1981، الصفحات 16-17)

يطبق الاستعمار حسب المفكر مالك بن نبي إستراتيجية التعرف حينما يجمع معلوماته عن هذه القوة المناهضة، ثم يعمد إلى إستراتيجية أخرى هي توجيه هذه القوى إما بالتشتيت أو الكف أو التحطيم، وتنطلق مخابر الصراع الفكري في حركتها من مبدأين أساسيين، مبدأ الغموض ومبدأ الفعالية، فمبدأ الغموض ينزع نحو عدم كشف الاستعمار عن نفسه وأنه الموجه لهذه العمليات حتى وإن اقتضته الضرورة إلى ذلك، أما عن مبدأ الفعالية يقوم على عزل المكافح(الفرد، المجموعة، الدولة...) في جهة الصراع الفكري عن حلبة الصراع

عبر تنفير الرأي العام من أفكاره وبجميع الوسائل، وكذلك تنفير الرأي العام نفسه من القضية التي يكافح لأجلها بأن تشعره بعبث كفاحه (بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، 1981، الصفحات 38-39).

توضح مما سبق التطرق إليه بأن الاستعمار يعد عامل خارجي هام ساهم في توسيع حلقة التخلف وفقا لإستراتيجية محكمة التخطيط والتنفيذ، كما أنه يعتبر متغير رئيس في عرقلة عجلة التنمية في المجتمعات المستعمرة، عبر استخدامه ما أمكن من أدوات ووسائل تهدف إلى تثبيت دعائم التخلف.

4- مظاهر التخلف لدى مالك بن نبي: حدد مالك بن نبي مظاهر التخلف كما سيأتي شرحه:

1.4- انعدام عالم الأفكار: يربط مالك بن نبي التخلف بالمجتمع بانعدام عالم الأفكار أو في ظل وجود أفكار غريبة عن النسق الاجتماعي، فالفرد يعجز عن تقديم أعمال منتجة حين تكون بيئة الأفكار غير مهيأة ولا تساعد على الإبداع وتحرير الطاقات الكامنة، فعالم الأفكار حسب مالك بن نبي يؤثر في المجتمع من خلال زاويتين؛ فالزاوية الأولى مفادها بأن الأفكار تؤثر في نهضة الحياة الاجتماعية باعتبارها عامل رئيس، أما الزاوية الثانية يمكن أن نعتبرها أحد عوامل الوهن التي تحول دون تحقيق النمو والتنمية الاجتماعية (بن نبي، مشكلة الثقافة، 1984، صفحة 14).

إن نشاط الفرد ما هو إلا انعكاس لمنظومة الأفكار، وبما أن التنمية مرتبطة بالنشاط الإنساني، فهي وثيقة الصلة بعالم الأفكار النابع من الأفراد، فالفوضى التي يشهدها العالم الإسلامي وفي مختلف الميادين نابعة من منظومة أفكار ميتة (بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 1970، صفحة 154).

2.4- تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية: تنفك شبكة العلاقات الاجتماعية بمجرد بداية أعراض التخلف، وانفكاك عرى الترابط الاجتماعي في صورة فردانية، وتبدأ هذه الانفكاكات في التطور إلى أن تأخذ صورة العلة التي تنخر تماسك الجسد الاجتماعي، وبما أن الأفكار تساهم بشكل فعال في عمليات البناء، فإن فعاليتها تتوقف على وسلامة ومتانة شبكات العلاقات الاجتماعية، فالعلاقات الفاسدة في عالم الأشخاص لها نتائجها على عالم الأفكار وفي عالم الأفكار وفي عالم الأشياء، والسقوط الاجتماعي الذي يصيب عالم الأشخاص يمتد لا محالة إلى الأفكار والأشياء في صورة افتقار وفاقة (بن نبي، ميلاد مجتمع، 2006، الصفحات 54-55).

ثانيا- مسألة التنمية: المضمون، الأركان، والمستويات

1- المضامين المختلفة لمسألة التنمية: يعبر مفهوم التنمية عن عملية تغيير جذرية وشاملة، هذا ما يجعل منها عملية مركبة وجد معقدة، تتصل في ذلك بمختلف مناحي الحياة الواسعة، فضلا عن كونها تبتغي إضفاء حركية بنائية وظيفية داخل المجتمع قصد تحقيق قدر محترم من الرفاه للكائن البشري.

وقد احتلت مسألة التنمية حيزا معتبرا من اهتمام الفكر الإنساني منذ بداية القرن الماضي، حيث عرفت مسألة التنمية انتشار واسعا بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقد كانت هذه الأخيرة انطلاقة فعلية لعصر جديد لمفهوم التنمية، وما ساعد على الاهتمام بالتنمية كمقاربة وكمفهوم هو تسارع وتيرة حركات التحرر والمطالب السياسية للدول المستعمرة النازعة نحو الاستقلال لا سيما دول عالم الجنوب، متخذة من ذلك عمليات إعادة بناء دولها وتطليق ظاهرة التخلف، ومأسسة نسق اجتماعي واقتصادي وثقافي جديد منهجا لها يعبر عن أهدافها وآفاقها.

استطاع المفكر مالك بن نبي أن يرسم منهجية ومخطط لكيفية استئناف البناء الحضاري، والتدخل في نطاق التاريخ قصد تعديل مساره ووجهته، وذكر أن كل صيرورة تاريخية محددة بشروط نفسية زمنية، لذلك فتحليله لعلمية التغيير الاجتماعي التي لخصتها نظريته حول دورة الحضارة كانت محاولة لفهم السنن الضابطة لهذه العملية والآليات التي تتحكم في سيرها، وبالتالي فإمكانية وفرص التغيير والانتقال نحو الهدف الأساسي للحياة الإنسانية، بصفة عامة يرى مالك بن نبي أن كل حضارة تمر بثلاث مراحل، هي(قنطقجي، 2016):

- **مرحلة النهوض**: تنطلق هذه المرحلة بمجرد ظهور الفكرة الدينية، والتي تقوم بدورها بتركيب عناصر الحضارة، وتنظم الطاقة الحيوية للأفراد لتثير فيهم الحركة والنشاط، بحيث يتحرر الفرد في هذه المرحلة الصاعدة من هيمنة الغريزة ويخضع لهيمنة الروح، في هذه المرحلة تصل شبكة العلاقات الاجتماعية إلى قمة كثافتها فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص.

- **مرحلة العقلانية(الانعطاف)**: تنعطف فيها الحضارة بسبب المشكلات المادية الناتجة عن توسع المجتمع الوليد منعطفا تكف فيه الروح عن السيطرة المطلقة على الغرائز، ويبدأ عهد العقل، وتمثل هذه المرحلة منعطفا للعقل، وتنقص في هذه المرحلة الفاعلية الاجتماعية للفكرة الدينية، وإن كانت الحضارة نفسها تبلغ أوجها فتزدهر العلوم والفنون فيها، ولكن مرضا اجتماعيا يكون قد بدأ، وإن تكن آثاره المحسوسة لم تظهر بعد، إن الطبيعة تستعيد سيطرتها على المجتمع والفرد شيئا فشيئا(قنطقجي، 2016).

- **مرحلة الانحطاط والانحلال**: في هذه المرحلة لا يعود للفكرة الدينية فيه من وظيفة اجتماعية، وتعود الأشياء كما كانت في مجتمع منحل وتتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية بانحلال المجتمع إلى ذرات، ولا روابط بينها وتنتهي بهذا دورة الحضارة(قنطقجي، 2016).

وقد أمعن المفكر مالك بن نبي النظر في مشكلة التخلف متجاوزا مختلف الأسباب الظاهرية إلى حقيقة المسببات المتغلغلة في هذه الظاهرة، منصرفا إلى البحث عن القوانين الكفيلة بتحول الشعوب من حالة العجز إلى القدرة والفعالية، ومن مشكلة الاستعمار إلى مرض القابلية للاستعمار، ومن حالة تكديس الأشياء إلى حالة البناء، ومن المطالبة بالحقوق إلى القيام بالواجب، والانتقال من عالم الأشياء والأشخاص إلى عالم الأفكار التي نبدأ بها حل مشكلة التخلف، ويجب أن نصل إلى قناعة حتمية، ويجب أن نصل إلى قناعة حتمية بأن مفاتيح حل المشكلات هي في الذات لا عند الآخر.

كما أكد مالك بن نبي على إمكانية التغيير الإرادي للوضع الحضاري، وذلك عبر مراحل الدورة الحضارية، فيقول: "فالجاذبية قانون طالما قيد العقل بحتمية التنقل برا وبحرا، ولم يتخلص العقل من هذه الحتمية بإلغاء القانون، ولكن بالتعامل مع شروطه الأزلية بوسائل جديدة، تجعله يعبر القارات والفضاء كما يفعل اليوم، فإذا أفادتنا هذه التجربة فإنها تفيدنا بأن القانون في الطبيعة لا ينصب أمام الإنسان الدائب استحالة مطلقة، وإنما يواجه نوع من التحدي يفرض عليه اجتهادا جديدا للتخلص من سببية ضيق النطاق"(سعيد، 1993، صفحة 20)، "فعملية التغيير الاجتماعي مرتبطة بالمتغير السيكولوجي المنطلق من ذات الإنسان" بناء على قوله تعالى: "إن الله لا يغر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(سورة الرعد، الآية11)، فمراحل التاريخ كلها قابلة للتغيير وفقا للحتمية المرتبطة بأعماق النفوس.

وينطلق مالك بن نبي في تحديده لمعنى التنمية من ضرورة تجاوز العوائق لا سيما التخلص من ظاهرة التخلف، حيث يستلزم توفر إطار حضاري(سعود، 2006، صفحة 203)، فمالك بن نبي يقول في هذا الإطار:"فحينما نريد أن نكون مجتمعا يقدم الضمانات الاجتماعية للفرد، ويؤيد الأمن في العالم، أو أننا نريد أن ندرس قضايا مجتمعنا اقتصادية كانت أم اجتماعية، فإن شروط وصولنا إلى تحقيق هذا كله هي شروط النهضة، بل إنه لا يمكن أن تنبع هذه الشروط إلا من الحضارة، ولا يمكن أن تتحقق إلا في إطارها"(حسين، 1985، الصفحات 31-32)، ويضيف بقوله أيضا:"فإذا أردنا أن نبني مجتمعا أفضل فهذا يعني أننا نبني مجتمعا متحضرا بدوره أيضا يعني أنه لا بد أن نعمل لتكوين حضارة" (بن نبي، تأملات، 1991، صفحة 30).

أسس مالك بن نبي لفكرة التنمية من مقاربة كلانية، أي النظر إلى المجتمع من زاوية شاملة ومتكاملة الجوانب، فالمجتمع حسبه نسق كلاني مترابط الأبنية متساند في تفاعلاته ومكوناته، إذ أنه لا يمكن أن تعمل هذه الأخيرة في إطار التكامل العضوي والوظيفي، فإدراك الظواهر الاجتماعية لا يتم إلا في ظل علاقتها بالنسق الاجتماعي الكلي، لذلك نفهم ظاهرة التخلف يجب أن تدرس في إطار مختلف مكونات النسق الاجتماعي العام المتضمن الأنساق الفرعية(النسق الديمغرافي، النسق الايكولوجي، النسق السياسي، النسق الاقتصادي)(التابعي، 1995، صفحة 152)، وقد حاول مالك بن نبي في هذا السياق تحديد أهم عوامل إخفاق المقاربات التنموية المتواجدة على مستوى الدول النامية لا سيما منها العربية، وربطها بما يلي (بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، 1978، صفحة 92):

- عدم تشخيص غاية النهضة بصورة واضحة.
- عدم تشخيص المشكلات الاجتماعية تشخيصا صحيحا.
- عدم تحديد الوسائل تحديدا يناسب الغاية المنشودة والإمكانيات.

2- أركان التنمية لدى مالك بن نبي: إن الأزمة في جوهرها عند مالك بن نبي أزمة حضارية، ولن نتمكن من القدرة على حلها إلا إذا أمسكنا بقوانينها ونظرنا إليها بعين التحليل، وبحثنا عن سنة الله فيها، كما أن الحضارة تقوم على البناء على التكديس، فلكي نبني حضارة لا يكون ذلك بتكديس منتجاتها، وإنما بحل مشكلاتها الأساسية(الحسن، 2000، صفحة 52)، فالحضارة عند مالك بن نبي تقوم أساسا على مفهوم البناء لا التكديس، فعملية البناء هي الكفيلة بتأسيس الحضارة، وهذا ما يتطلب وجوب الوعي بالمنظومة الاشتراطية لبناء الحضارة وتركيبها، لذلك شروط التنمية الثلاث حسب مالك بن نبي متكاملة فيما بينها، ألا وهي؛ الإنسان، التراب، الوقت، أو يمكن حسب ما يراه مالك بن نبي بأنها مشكلات، هي (بن نبي، تأملات، 1991، صفحة 188):

- مشكلة الإنسان وتحديد شروط انسجامه مع سير التاريخ.
- مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية.
- مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد.

ويقول مالك بن نبي في ذلك: "ليس من الضروري ولا من الممكن أن تكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب كي نهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه من الإنسان والتراب والوقت" (بن نبي، بين الرشاد والتيه، 2006، صفحة 61).

1.2- الإنسان: إن المشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف بيئته، فالإنسانية لا تعاني مشكلة واحدة بل مشاكل متنوعة تبعا لتنوع مراحل التاريخ، فلا يمكن لنا أن نقارن في الوقت الحاضر بين رجل أوربا المستعمر ورجل العالم الإسلامي القابل للاستعمار، لأن كلاهما في طور تاريخي خاص به، فالبلاد الإسلامية أزمتها في الركود، فهي مشكلة الإنسان المتوطن فيها، الذي عزف عن الحركة، وقعد عن السير في ركب التاريخ (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 113)، فالتنمية مرهونة بمدى فعالية الإنسان وحركيته، فليس المادة لوحدها العاملة على التغيير، فالقضية ليست مرتبطة بالأدوات والإمكانيات فإنها في أنفسنا، إن علينا أن ندرس أولا الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ، ذلك ما تشير إليه النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ، فنرى المجتمع حيا يزخر بوجود النشاط، وأحيانا نراه ساكنا لا يتحرك يسوده الكساد، وتغمره الظلمات، وهل هذه المظاهر غير تعبير عن حركة الإنسان أو ركوده" (بن نبي، تأملات، 1991، صفحة 28).

فالإنسان حسب مالك بن نبي لم يتغير في صفاته الخلقية، بل الذي تغير هو فعاليته، وعلى هذا الأساس يميز مالك بن نبي بين قيمتين للفرد بوصفه عاملا أوليا للحضارة الأولى منها خام وطبيعية، والثانية صناعية أو اجتماعية، بمعنى أن الإنسان تميزه حقيقته بصفته أولا كائن طبيعي كرمه المولى عز وجل، يتساوى جميع الأفراد فيها، تشكلها جملة من الخصائص والصفات الفيزيقية، وثانيا بصفته كائن اجتماعي تميزه الفعالية تعي من قيمته الاجتماعية في ظروف معينة (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 145).

فمعالجة مشكلة الإنسان حسب مالك بن نبي تناولها أساسا من منظور الفعالية، أين ركز على ذلك بقوله: "كيف نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت"، فظاهرة التخلف التي تميز حياة المجتمعات المتخلفة تعد ترجمة حقيقية لركود الإنسان، لذلك جاء تركيز مالك بن نبي كله على الإنسان مقارنة باهتمامه بكل من عامل التراب، وعامل الوقت، لأن الإنسان هو الوحيد المحرك لعناصر التنمية الأخرى (بن نبي، تأملات، 1991، صفحة 29).

وقد صار من اللازم أن نضع المشكلة أمامنا بأكملها، وأن نأخذ في اعتبارنا على الأخص عنصرها الأساسي، الرجل ويلزمنا أولا أن نفهم كيف يؤثر الإنسان في تركيب التاريخ، ومن الملاحظ أنه في القرن العشرين يؤثر الفرد في المجتمع بثلاث مؤثرات؛ أولا بفكره، ثانيا بعمله، ثالثا بماله، وحاصل البحث أن قضية الفرد منوطة بتوجيه في نواح ثلاث، أولا توجيه الثقافة، ثانيا توجيه العمل، ثالثا توجيه رأس المال (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 115).

1.1.2- توجيه الثقافة: إن فكرة التوجيه تعني لدى المفكر مالك بن نبي "قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف، فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتلها، كم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها حيث زحمتها قوى أخرى صادرة عن نفس المصدر، متجهة إلى نفس الهدف، فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد والوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت، والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن الظروف الزمنية والإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه، وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساس فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دفعة دينية، وبلغة الاجتماع يكتسب من فكرته الدينية معنى الجماعة ومعنى الكفاح (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 117).

أما عن الثقافة فيعرفها مالك بن نبي بأنها "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته" (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 123)، كما أنه لا سبيل لعودة الثقافة إلى وظيفتها الحضارية إلا بعد تنظيف الموضوع من الحشو أو الانحراف الذي أحدثه في عدم فهمنا لمفهوم الثقافة.

ويرتبط توجيه الثقافة بالمفاهيم الفكرية المؤسسة على أصول ثقافية، والثقافة الإسلامية هي الأساس في كل تغيير، فلابد من التوجيه لأنه "ينبغي أن يكون المهنة الأولى في خطة النهضة الإسلامية، لأنه تحقيقه هو الذي يوجد الشرط الأول لتحويل الجهود في نطاق هذه النهضة إلى جهود فعالة" (بن نبي، مشكلة الثقافة، 1984، الصفحات 50-55)، وانطلاقا من القاعدة البنيوية المعروفة بأن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة، وكل تفكير في مشكلة الحضارة هو في الأساس تفكير في مشكلة الثقافة، باعتبار الحضارة في جوهرها مجموعة من القيم الثقافية المحققة، وإنه إذا ما أريد للنهضة أن تبرز إلى عالم الوجود فإنه علينا أن نواجه مشكلة الثقافة في أصولها (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 79).

وقد تطرق مالك بن نبي في تحليله لمفهومية الثقافة من زاوية التغيير وإحداث التنمية فهي أساس كل بناء حضاري، فتوجيه الثقافة بما يتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة، وكل ما يعطي للحضارة سمتها الخاصة، يتطلب توجيه الإنسان من خلال توجيه ثقافته، وذلك عبر المبادئ التالية(عناصر الثقافة):

- **التوجيه الأخلاقي:** لا يعني بالتوجيه الأخلاقي من الناحية الفلسفية لكن من الناحية الاجتماعية، كما أنه ليس المقصود هنا تشريح المبادئ الخلقية بل أن تحدد قوة التماسك اللازمة للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة في جماعة عند الفرد، والتي تتيح له تكوين القبيلة والعشيرة والمدينة والأمة، وتستخدم القبائل الموغلة في البداوة نفس هذه الغريزة لكل تجمع، ولكنه يهذبها ويوظفها بروح خلقية سامية (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 129)، "فالتوجيه الأخلاقي هو الذي يقوم ببناء عالم الأشخاص الذي لا يتصور بدونه عالم الأشياء ولا عالم الأفكار" (بن نبي، تأملات، 1991، صفحة 147).

فإذا كانت الشبكة المعقدة من العلاقات الثقافية تعبر عن العلاقات الإنسانية، فإنه لا يمكن أن تنمو هذه العلاقات دون وجود توجيه أخلاقي، فهي مرتبطة في فعاليتها بالدافع الأخلاقي، فالمجتمعات المتخلفة أثبت التاريخ أنها في شبكة علاقاتها الثقافية مترهلة، ومنه عدم وجود صلات وروابط وثيقة في العلاقات الشخصية، مما يوحي بتراجع قوة التوجيه الأخلاقي، لذلك يجب على المجتمع المتخلف أن يهتم بمشروع توجيه الثقافة، ويولي أهمية قصوى للمبدأ والتوجيه الأخلاقي لأجل العمل والبناء(سعود، 2006، صفحة 217).

- **التوجيه الجمالي:** يقول المفكر مالك بن نبي: "لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره وأعماله، ومساعيه" (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 133)، فالجمال حسب مالك بن نبي يؤكد عليه بأنه هو الإطار الذي تكون فيه أي حضارة، كما يعد الجمال الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال، يوحي للإنسان بأفكاره، ويطبعها بطابعه الخاص، بالذوق الجميل، أو السماجة القبيحة، ولاشك أن

للجمال أهمية اجتماعية هامة، إذا ما اعتبرناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار وأعمال الفرد في المجتمع(سعود، 2006، صفحة 218).

فالمشروع الحضاري عند المفكر مالك بن نبي يرتكز في هذا الإطار على تنمية الذوق الجمالي داخل روح الفرد والمجتمع، وخلق إطار سوسيولوجي خال من كل منغصات الذوق الجمالي، لأن حسبه عندما تكون البيئة نظيفة وجميلة فإنها تبث في الفرد الذي ينشأ ضمنها معاني الجمال والذوق الرفيع، فينعكس هذا في سلوكاته وأفكاره، والأفكار بصفتها روح الأعمال، إنما تتولد من الصور المحسة الموجودة في الإطار الاجتماعي، لما يحويه من روائح واصوات وأوزان، وحركات ومناظر، والتي في نفس من يعيش فيه، وهنا تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكيره (بن نبي، القضايا الكبرى، 1991، صفحة 72).

ولأجل أن يتخلص المجتمع من الفوضى التي تسوده والركود الذي يميزه، وجب عليه أن يولي أهمية بالغة للجمال، ويعمل على بث معناها في سائر وجود النشاط البشري في الملابس والعادات وأساليب المشي... بل حتى في طريقة زراعة محصول في تربة أحد الحقول(سعود، 2006، صفحة 220)، فالإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال، بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أي حضارة، فينبغي أن نلاحظه في نفوسنا، وأن تتمثل في شوارعنا ونفوسنا ومقاهينا، فالجمال هو وجه الوطن في العالم، فلنحفظ وجهنا لكي نحفظ كرامتنا، ونفرض احترامنا على جيراننا، الذين ندين لهم بنفس الاحترام (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 137).

- **المنطق العملي:** يقصد بالمنطق العملي حسب ما ورد في كتاب شروط النهضة لمالك بن نبي بأنه "كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه، وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئا، بغير مقياس يستمد معاييره من واقع الوسط الاجتماعي وما يشتمل عليه من إمكانيات، إنه ليس من الصعب على الفرد المسلم أن يصوغ مقياسا نظريا يستنتج به نتائج من مقدمات محددة، غير أنه من النادر جدا أن نعرف المنطق العملي، أي أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة، ونحن أحوج ما نكون لهذا المنطق العملي في حياتنا، لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوما (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 139).

ويؤكد مالك بن نبي في هذا السياق على روافد اللافعالية التي تميز أعمال الفرد، حيث يذهب جزء كبير منها في البحث والمحاولات والهازلة، لأن نفتقد الضابط الذي يربط بين عمله وهدفه، وبين سياسته ووسائله، وبين ثقافة ومثلها، وبين فكرة وتحقيقها (بن نبي، مشكلة الثقافة، 1984، الصفحات 58-60)، وبذلك نهتلك الإمكانيات ويضيع الوقت، ويستنفد المجتمع طاقاته في مشاريع فاشلة فتتضاعف مديونيته الحضارية ويزداد تخلفه(سعود، 2006، صفحة 219).

- **الصناعة:** يقصد بالصناعة كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة، فهي وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده، ولكنها وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه، وعليه فإنه يجب أن نلاحظ في كل فن هذين الاعتبارين، وإن لنرى في هذا الباب ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني ليحل نظريا وعمليا المشكلة الخطيرة للتربية المهنية تبعا لحاجات البلاد (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 143).

وقد انطلق مالك بن نبي في تحديده لمعنى الصناعة من ميزة أساسية تتسم بها مجتمعاتنا من تخلف حضاري وتهدم شبكة علاقاتها الثقافية، وفوضى عالمها الثقافية، وخمود إنسانه، وتخلفه العلمي والتقني والصناعي، في هذا الإطار تبرز ضرورة التوجيه التربوي والثقافي للقدرات والمهن والتكنولوجيا.

فالحياة في مجتمع معين قبل أن تتأثر بالفنون والصناعات، أي بالجانب المادي والاقتصادي من الحضاري تتخذ لها اتجاها عاما ولونا شاملا، يجعلان جميع تفاصيلها مرتبطة بالمبدأ الأخلاقي وبذوق الجمال الشائعين في هذا المجتمع، وبعبارة أدق إنها تكون مرتبطة بالعلاقات الخاصة القائمة بينهما، ونتيجة هذه العلاقات تأتي أولا في ترتيب خاص يقدم أو يؤخر المبدأ الأخلاقي على ذوق الجمال في سلم القيم الثقافية، حتى يتكون نموذج معين من المجتمع بسبب هذا الترتيب، ويمكن أن نصوغ هذه العلاقة في صورة جبرية كما يلي (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 147):

مبدأ أخلاقي+ذوق جمالي=اتجاه حضارة

إذن فعناصر الثقافة كما تصورها مالك بن نبي ينبغي أن تتحول إلى برنامج تربوي لتغيير الإنسان الذي لم يتحضر بعد، أو لإبقاء الإنسان المتحضر في مستوى وظيفته الاجتماعية، وفي مستوى أهداف الإنسانية والتي عندما تتحد مع توجيه العناصر الأخرى(المال، العمل) تكون مشكلة التخلف قد تهيأت للحل.

2.1.2- توجيه العمل: يقصد المفكر مالك بن نبي بتوجيه العمل سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد بما في ذلك جهد الراعي والحرفي، والتاجر والطالب والمثقف والفلاح، لكي يضع كل يوم لبنة جديدة في البناء، فهو تأليف لكل هذه الجهود، لتغيير وضع الإنسان وإيجاد بيئة جديدة، فإن العمل مهم في تحقيق مصير الأشياء (العابد، 2012، صفحة 158).

وتوجيه العمل ليس عنصرا أساسيا في مجال العمل التنموي، ولكنه متولد من شروط النهضة الثلاث، فالخطب والمواعظ لا تأتي ثمارها ما لم تتوج بالعمل، فالمسلمون بدؤوا يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة حيث كانت أول ساحة للعمل، وهذا التوجيه للعمل هو شرط عام أولا، ثم وسيلة خاصة لكسب الحياة بعد ذلك، لأنه كلما تقدم التوجيه المثلث-توجيه الثقافة والعمل ورأس المال- للإنسان المسلم تغير وجه الحياة حتما فيكتمل ويحتل مستوى أرفع (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 154).

فتوجيه العمل يتضمن تأليف كل الجهود-إزالة الأذى عن الطريق، إسداء نصح عن نظافة أو الجمال عمل، وغرس شجرة هنا عمل، واستغلال أوقات فراغنا في مساعدة الآخرين عمل- لتغيير وضع الإنسان وخلق بيئته الجديدة، ومن هذه البيئة يشتق العمل معناه الآخر (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 155).

3.1.2- توجيه رأس المال: يدعو المفكر مالك بن نبي إلى اعتبار رأس المال من حيث كونه آلة اجتماعية وليس في كونه آلة سياسية بين يدي طبقة معينة هي البرجوازية لاضطهاد طبقة أخرى هي البروليتاريا، فقد نظر إلى رأس المال من هذه الزاوية، لأن أوضاع المجتمع وظروفه قد حتمت عليه النظر (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 157)، فهو إذا يميز بين رأس المال والثروة، فهذه الأخيرة متعلقة بالمركز الاجتماعي لمن يمتلكها، وهي أموال مكدسة تفتقد إلى الحركة، وليس لها قيمة اجتماعية لأنها لا تدخل في الدورة الاقتصادية كقوة استثمارية يمكن أن تولد العمل.

ويرى أن العالم الإسلامي يملك ثروة ولكنه لا يملك رأس المال، لأنه يرى أنه هو الذي يتحرك، ومن ثم يوجه على أساس المنهج الثقافي المنتج، فهو يرى ارتباطا وثيقا بين توجيه رأس المال والنهج الثقافي، فالمقصود من توجيه رأس المال هنا هو "أن تصبح كل قطعة نقدية مالية متحركة متنقلة تخلق منها العمل النشاط، إن القضية ليس في تكديس الثروة، ولكن في تحريك المال وتنشيطه، بتوجيه أموال الأمة مهما كانت بسيطة، وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال مكدسة إلى رأس مال متحرك، ينشط العمل والفكرة والعمل والحياة"(سعود، 2006، صفحة 221).

فالقضية إنما هي قضية منهاج يحدد لنا تخطيطا مناسبا نبني عليه حياتنا الاقتصادية، ولا يكون فيه مكان لتركيز رؤوس الأموال في أي فئة قليلة، تستغل السواد الأكبر من الشعب، بل يجب أن يتوافر فيه إسهام الشعب مهما كان فقيرا، وبذلك يتم التعادل بين طبقات المجتمع وتنسجم مصلحة الجماعة مع مصلحة الفرد (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 161).

2.2- التراب: يعد التراب أحد الناصر الثلاث للحضارة، فين نتحدث عن التراب-حسب مالك بن نبي-فإننا لا نبحث في خصائصه الطبيعية، فنتحدث عنه من حيث قيمته الاجتماعية، والقيمة الاجتماعية مستمدة من قيمة مالكيه، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحين تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط.

ويعتبر التراب الضلع الثاني الأساسي في مثلث الإقلاع الحضاري، وقد تطرق اليه مالك بن نبي من زاويتين أو مظهرين؛ المظهر لقانوني(التشريعي) والذي يتصل فيه الإنسان بالتراب من هذه الناحية، من خلال صورة الملكية أي من حيث تشريع الملكية في المجتمع، الذي يحقق الضمانات الاجتماعية. أما عن المظهر الفني فيعنى بجانب السيطرة الفنية والاستخدام الفني الذي تتيحه العلوم المختصة (بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، 1986، صفحة 90).

وقد ركز مالك بن نبي في تناوله لعنصر التراب على دور الإنسان في استغلاله وتحويله إلى مظاهر تنعكس إيجابا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، لأن التراب يعد مقياس تقدم وتخلف الأمم، فهو في أرض الإسلام عموما يل على شيء من الانحطاط، بسبب تأخر القوم الذي يعيشون عليه، فالأرض الزراعية في بعض البلاد كالجزائر مثلا بدأت تتدهور رويدا أمام غزو الصحراء، في هذا الإطار يدعو مالك بن نبي إلى ضرورة استخدام الوسائل العلمية المتاحة لحل هاته المشكلات(تضخم، جفاف، انجراف...)، على اعتبار أنها مشكلات محورية تعترض تقدم البلدان المتخلفة، وقد ركز على ضرورة الاستفادة من الخبرة العالمية في هذا المجال، سواء في إطارها النفسي حين تضع أمام الشعوب نماذج رائدة تستدعي الاقتداء(النجار، 1999، صفحة 29).

من جهة أخرى يرى مالك بن نبي أن مشكلة التراب مرتبطة بمتغير آخر ألا وهو مشكلة الترحال(التنقل)، ولا يمكن حل هذه المشكلة من خلال استقرار الإنسان، والذي يعد شرط أساسي يتيح له الاستثمار في هذا المكون الحضاري الهام، انطلاقا من قاعدة أساسية هي ارتباط الإنسان بأرضه وعلاقته بها عبر الزمن.

3.2- عنصر الوقت: يعتبر عنصر الوقت عاملا مهما بالنسبة للأمة حسب مالك بن نبي، لذلك وجب عليه أن تدرك أهمية الوقت وقيمته وطرق استغلاله، لذلك فالوقت "يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد ولكنه في مجال ما يصير ثروة، وفي مجال آخر يتحول إلى عدما" (بن نبي، شروط النهضة، صفحة 135)،

ويعد الوقت عنصر حضاري مهم حيث أشار في هذا الإطار مالك بن نبي إلى العديد من التجارب التنموية في العالم على غرار التجربة السوفياتية والتجربة الصينية(سعود، 2006، صفحة 224).

ويقول مالك بن نبي:"نحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمى الوقت، ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم، لأننا لا ندرك معناه، ولا تجزئته الفنية، لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة، وثانية، ولسنا نعرف إلى الآن فكرة الزمن الذي يتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ".

ويدعو مالك بن نبي إلى ضرورة إدخال مفهوم الزمن وقيمته الاجتماعية في وعي الأفراد من خلال عملية التربية حتى "يتعلم الطفل والمرأة والرجل تخصيص نصف ساعة يوميا لأداء واجب معين، فإذا خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة وفعالة، فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل" (بن نبي، فكرة كومنولث إسلامي، 2006، صفحة 33)، وعند تحديد معنى الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج وهو معنى الحياة الحاضرة فهذا المعنى الذي لم نكسبه بعد هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة والنشاط وفي تكوين المعاني والأشياء.

ويؤكد مالك بن نبي على أنه ينبغي على البلدان المتخلفة أن تدرك كيف تقدر الآثار السلبية للتفريط في قيمة الوقت في نشاطها، فإن عليها في المقابل ألا تغلو في الإفراط في تقديره حيث يمكنها أن ترى بسهولة نتائجه السلبية في البلاد المتقدمة، والتي اتجهت نحو الحضارة المادية الصرفة، وجعلت الإنسان يغترب على ذاته عندما أصبح آلة في جسم الحضارة الغربية، فأفقدته إنسانيته.

3- مستويات التنمية لدى مالك بن نبي: ينطلق الفكر التنموي في تعامله مع ظاهرة التخلف من توليفة آليات وأدوات متشابهة، اتخذتها جل المجتمعات في معالجة إشكالية التخلف، غير أن المكفر مالك بن نبي اعتبرها أولى الإشكاليات التي تواجه عملية التنمية، لأنه لا يمكن أن نقر بوجوب تشابه آليات معالجة مسألة التخلف والتفكير في التنمية والتي اتخذت من فكر آدم سميث وكارل ماركس منهجا لها في التعاطي مع ظاهرة التخلف، لذلك يرى مالك بن نبي بضرورة إعادة النظر في اللحظة التي نريد(سعود، 2006، صفحة 226)، في هذا الإطار رأى مالك بن نبي إلى معالجة ظاهرة التخلف عبر تقسميه لمستويات التنمية إلى مستويين؛ المستوى الأول يتعلق بالتنمية على الصعيد الداخل، أما المستوى الثاني يتعلق بالتنمية على الصعيد الخارجي.

1.3- التنمية على الصعيد الداخلي: ترتبط التنمية على الصعيد الداخلي بمنظومة اشتراطية قوامها توفير شروط النهضة والإقلاع الاقتصادي، كما يجب إمعان النظر في الإمكانيات الذاتية والوسائل المتاحة قصد تحقيق التنمية، والتي بدورها لها موقع فعال في وضع مختلف برامج التنمية، وقد حدد مالك بن نبي أولويات التنمية على الصعيد الداخلي فيما يلي:

- **أولوية تحقيق الاكتفاء الذاتي على اقتصاد التنمية:** تحتل الفلاحة(القطاع الزراعي) رأس أولويات أجندة التنمية على الصعيد الداخلي، نظرا للدور المحوري الذي تؤديه في تحريك عجلة التنمية لدى الدول المتخلفة، لذلك يدعو مالك بن نبي إلى وجوب اهتمام المجتمعات المتخلفة بتنظيم القطاع الزراعي من أجل ضمان العيش الكريم لأفراده وتحقيق الأمن الغذائي (بن نبي، بين الرشاد والتيه، 2006، صفحة 173)، وتحقيق السيادة الغذائية الكاملة، بالمقابل لا يمكن تحقيق هذه الأخيرة إلا من خلال الربط بين اقتصاد القوت واقتصاد التنمية، فالمجال الزراعي يعد الركيزة الأولى لدفع عجلة الاقتصاد في الدول المتخلفة، لأن التخلف الحقيقي هو

الذي تجد فيه الأراضي الخصبة للدولة المتخلفة بورا ومعطلة عن الاستغلال (بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، 1978، صفحة 63)، بينما يعيش أفرادها مجاعة لامتناهية دون إدراك مهم لأهمية وقيمة التراب(سعود، 2006، صفحة 228).

- **تفعيل استغلال المواد الخام والتخلص من هيمنة الاستعمار:** تعد المواد الخام الموجودة في باطن الأرض أحد أهم مصادر التنمية بعد الفلاحة، نظرا لما تؤديه من دور في تحرير الصناعة وتطويرها، وتندرج نظرة مالك بن نبي في هذا العنصر بدعوته إلى وجوب تخليص الدول المتخلفة من الهيمنة الأجنبية، لا سيما عمليات التنقيب والتحويل أو التصدير، لذلك يجب على الدول المتخلفة أن تستغل مواردها بنفسها وتطور من آليات استغلالها لا أن تصدرها كما هي(سعود، 2006، صفحة 228).

- **أولوية الاستثمار الاجتماعي على الاستثمار المالي:** يهدف الاستثمار إلى خلق وظائف جديدة وإيجاد فرص التشغيل والعمل، ويمكن أن يقضي على حالات البطالة والكساد، غير أن المجتمع الذي ينمو بهذه الطريقة لا يستفيد إلا من جزء من العمل المتوقع وهو نسبة من يشتغلون فعلا، بينما يتحمل سائر الأفواه التي تأكل، العامل منها والعاطل، وقد يتعرض إلى نزيف في طاقاته العاملة أو القادرة على العمل حين تهاجر بحثا عن العمل، وهي غالبا ما تكون ذات كفاءة عالية(سعود، 2006، صفحة 229).

لذلك تولي النظرية الاجتماعية في أدبيات التنظيم المؤسسة أهمية بالغة لجانب الاستثمار في الموارد البشرية، نظرا لما له من دور فعال في تحديد نسبة نجاح المؤسسة، فعلى المجتمعات أن تتخذ منذ البداية أولوية الاستثمار الاجتماعي على الاستثمار المالي، وذلك قصد تطوير الإمكانات المتاحة والطاقات الموجودة عبر أضلع مثلث التنمية عند مالك بن نبي(الإنسان، التراب، الوقت) (بن نبي، بين الرشاد والتيه، 2006، صفحة 194)، ومن هنا يرى مالك بن نبي بضرورة وعي الدول المتخلفة بأن القدرة المالية وحدها لا تبني اقتصادا متينا بل إن الاستثمار الحقيقي هو الذي يهتم بالجانب الاجتماعي، والخروج من حلقة التخلف لا يتم إلا بناء على الاستثمار الاجتماعي الذي يتيح لكل السواعد ولكل الأفواه أن تجد قوتها (بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، 1978، صفحة 62).

- **أولوية الإنتاج على الاستهلاك وتفعيل فقه الواجبات(أولوية الواجب على الحق):** يرتبط تقدم المجتمع ماديا حسب مالك بن بني على هذا المستوى بطرفي معادلة أخلاقية هما الواجب والحق، فالحق هو ما يأخذه الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه باعتباره عضوا منه، أما الواجب هو ما يقدمه المجتمع، ومن خلال إسقاط ثنائية الواجب والحق على الاقتصاد، فإن المفهوم يتقابل مع ثنائية الإنتاج والاستهلاك، فتحقيق التنمية يبدأ بالتخلص والتحرر من ذهان السهولة والركون إلى الراحة، إلى ضرورة بذل الجهد ومضاعفة العمل لتحقيق الإنتاج أكبر من الاستهلاك، (بن نبي، بين الرشاد والتيه، 2006، صفحة 197) وقد عمل مالك بن نبي على صياغة معادلة رياضية تؤثر في نمط حياة المجتمع كما يلي:

حق+واجب=صفر أو إنتاج+استهلاك= صفر

من خلال هذه المعادلة فسر مالك بن نبي العلاقة بين الإنتاج والاستهلاك وفقا لتحليلات ثلاثة، فإذا اختار المجتمع الحق(الاستهلاك) على حساب الواجب(الإنتاج)، فإنه سوف يفرز معادلة اقتصادية سلبية، وإذا كان حجم الإنتاج والاستهلاك متعادل فإن المجتمع يخلد إلى الركود، أما إذا اختار المجتمع منهج الإنتاج(الواجب)

على حساب الاستهلاك(الحق)، فإن إنتاجه يتضاعف ويغطي حاجاته الاستهلاكية، وبالتالي نمو الميزانية وتحقيق الفائض ومنه تقدم وتطور المجتمع(سعود، 2006، صفحة 231).

2.3- التنمية على الصعيد الخارجي: يشير مالك بن نبي إلى وجوب تفعيل مفهوم التنمية خارجيا على نفس منوال التنمية داخليا، وهذا ما يستدعي تعزيز أواصر التعاون الإقليمي والدولي عبر تنسيق الجهود ووضع برامج تنموية واضحة الأهداف، كل ذلك في إطار منظومة تنموية متكاملة من الجانب الداخلي وعلى الصعيد الخارجي قوامها الأولويات التالية:

- **أولوية تأسيس مصرف المواد الخام مقابل مصرف العملة:** مضمون هذه الفكرة لدى مالك بن نبي تتعلق بضرورة فك الارتباط وإلغاء علاقات التبعية والاستغلال، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بقطع العلاقات الاقتصادية مع المستغل، ويقتضي تأسيس هذا المصرف الإرادة الحقيقية لدى دول العالم الثالث، ولو اقتضى تنازل هذه الدول عن مخططاتها التنموية، باعتبارها مشروعا يدعم العدالة بين الدول والفعالية في البلاد المتخلفة (بن نبي، 1992، صفحة 114).

فالمفكر مالك بن نبي ركز على فكرة فك العلاقة والارتباط بين المواد الخام الممتلكة من طرف البلاد المتخلفة وبين العملة المتداولة في السوق العالمية، عبر وضع تشريعات وقوانين تحمي أسعار المواد الخام من المضاربة، وذلك عبر توحيد الجهود بين كافة الأطراف والتنسيق فيما بينها في إستراتيجية التنمية لكي يتماشى مع هذا الطرح الجديد (العابد، 2012، صفحة 163).

- **أولوية التكامل والاندماج الاقتصادي:** يرى بن نبي ضرورة إعادة النظر في تنظيم الحياة الاقتصادية للدول، وعلى رأسها الدول العربية باعتبارها مجموعة دولية لها إمكانيات وقدرات ضخمة، وذلك من خلال الالتزام بضوابط استكمال الحلقة الاقتصادية المتكاملة داخل حدود تمكنها من تحقيق اكتفاءها الذاتي، ومواجهة الظروف الدولية الصعبة، قد طرح في هذا الإطار عدة مشروعات مركزية تؤسس لفكرة الاندماج والتكامل الاقتصادي بين الدول النامية لاسيما منها؛ مشروع فكرة الآفرو آسيوية لتحقيق التكتل بين الشعوب في أفريقيا وآسيا، وكذلك دعوته إلى إنشاء كومنولث إسلامي يجمع الشعوب الإسلامية ويمنحها موقعا على خريطة العالم الإسلامي (بن نبي، فكرة كومنولث إسلامي، 2006، صفحة 14).

الخاتمة:

من خلال استقرار رأي الباحث حول تناول موضوع التنمية والتخلف على ضوء الفكر البنبوي حاولت توضيح مختلف أفكاره وأطروحاته المتميزة حول التخلف كمشكلة إنسانية والتنمية كمقاربة حضارية، نظرا لما تحتل من أهمية في مجال التنظير التنموي، حيث دعا عبرها إلى ضرورة التحرر من كافة القيود الفكرية التي تسعى إلى تنميط أفكارنا على قوالب شيئية جاهزة، لذلك وجب على الفرد والمجتمع أن يتحرر من كل القيود والحواجز النفسية قصد إطلاق العنان لطاقات الأفراد والتعبير عن رغباتهم للخروج من الوضع السيئ الذي يعيشه.

غير أن الأطروحة البنبوية في مجال التنظير التنموي لم تلق ترحيبا واسعا من المجتمع التي برزت ونشأت فيه، لأنه لما نتأمل واقعنا نجد أن معظم الأطروحات الفكرية حول التنمية أصبحت منهجا لبعض الدول المتخلفة وسعت كذلك إلى تبنيها على مستوى البرامج التنموية، بالمقابل تم إقصاء وتهميش فكر مالك بن نبي

التنموي من طرف البلدان المتخلفة نظريا وعمليا، لذلك يطرح السؤال هنا ما الذي يمنع البلدان المتخلفة من انتهاج فكر التنمية لمالك بن نبي على مستوى السياسات العامة التنموية الخاصة بها؟

ويمكن أن نوجز أهم ما توصلنا إليه عبر صفحات الورقة البحثية كما يلي:

- تفاعل عدة مظاهر وأسباب مشكلة بذلك ظاهرة التخلف، فالتخلف لا يتعلق فقط بالمشاكل الاجتماعية مثل الفقر والأوبئة والأمراض أو المشاكل الاقتصادية فحسب، بل التخلف يمثل مشكلة حضارية، فالمشاكل السابقة الذكر تمثل أجزاء لمنظومة كلية، وعند حل هذه المشكلات وعلاجها فإنه غير كاف لمعالجة مشكلة الحضارة.

- التخلف كظاهرة يتضمن جملة مؤشرات حسب مالك بن نبي، تتمثل أساسا في مظاهر التكديس وانعدام الفعالية والميل إلى ذهان السهولة والاستكانة، وتحلل أواصر شبكة العلاقات الاجتماعية.

- ينطلق التفكير في بناء الحضارة من دعامة أساسية تتمثل في الإنسان، وقد اعتبرها مالك بن نبي مشكلة من مشكلات الحضارة الأخرى، فالتفكير في مشكلة الإنسان يعد تفكير واهتمام بمشكلات الحضارة ومنه التنمية، فكل عمل وتوجه لا يهدف إلى تغيير الإنسان هو عمل غير ناجح من أصله.

- محور الفعل الحضاري لدى مالك بن نبي يرتبط أيضا بالمتغير الثقافي، فالمنظومة الثقافية للإنسان تساهم بدور كبير في صقل مواهب الإنسان وأفكاره، وتبث فيه الفعالية من أجل إيجاد موقع له في المعادلة الاجتماعية، ومنه دفعه إلى تجسيد دوره في المجال التنموي والحضاري، كما تعمل الثقافة على تخلية أفكاره من القابلية للاستعمار وعدم الاتكال على الغير في إنتاج أفكار ومناهج تعبر عن خصوصيته تجاه مجتمعه، كل ذلك في إطار التحرر والاستفادة من إمكانات المجتمع الذاتية ماديا عبر استغلال التراب والأرض، ومعنويا من خلال استغلال الوقت والزمن.

قائمة المراجع:

1. Lan Roxbotough .(1979) . *Theory of underdevelopment* .London: The Macmillon Press LTD.

2. ابن منظور. *لسان العرب*. بيروت: دار لسان العرب.

3. أحمد المسلماني. (09 05, 2011). *القابلية للاستعمار.. مالك بن نبى*. تاريخ الاسترداد 08 10, 2018، من https://www.almasryalyoum.com/news/details/207110.

4. أسامة الغزالي حرب. (1987). *الأحزاب السياسية في العالم الثالث*. الكويت: المجلس العربي للثقافة والعلوم.

5. السنوسي محمد السنوسي. (03 05, 2017). *العاملان الداخلي والخارجي.. بين مالك بن نبي ومنير شفيق*. تاريخ الاسترداد 05 10, 2018، من https://islamonline.net/21248.

6. السيد الحسني. (1982). *التنمية والتخلف: دراسة تاريخية بنائية* (ط2). القاهرة: دار المعارف.

7. الطاهر سعود. (2006). *التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي* (ط1). بيروت: دار الهادي.

8. الطيب برغوث. (2004). *حركة تجديد الأمة على خط الفعالية الاجتماعية*. الجزائر: دار قرطبة.

9. الطيب برغوث. (2004). *حركة تجديد الأمة على خطى الفعالية الاجتماعية*. الجزائر: دار قرطبة.

10. العابد مهوب. (جوان, 2012). مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي. *مجلة علوم الانسان والمجتمع* ، الصفحات 137-172.

11. بدران بن مسعود بن الحسن. (2000). *الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري: أنموذج مالك بن نبي* (ط1). الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

12. جودت سعيد. (1993). *حتى يغيروا ما بأنفسهم* (ط7). بيروت: دار الفكر المعاصر.

13. سامر مظهر قنطقجي. (2016). *النظرية التنموية في فكر ابن خلدون ومالك بن نبي*. تاريخ الاسترداد 28 10, 2018، من www.kantakji.com

14. سعاد طعبة، خالد فتيح. (سبتمبر, 2017). القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي ومفهوم الذات. *مجلة تاريخ العلوم* ، الصفحات 60-73.

15. سورة الرعد، الآية11.

16. عادل حسين. (1985). *التنمية العربية الواقع الراهن والمستقبل* (ط2). بيروت: مركزدراسات الوحدة العربية.

17. عبد المجيد النجار. (1999). *فقه التحضر الإسلامي: الشهود الحضاري للأمة الإسلامية* (الإصدار ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

18. كمال التابعي. (1995). *تغريب العالم الثالث: دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية*. القاهرة: دار المعرفة الجامعة.

19. مالك بن نبي. (1964). *آفاق جزائرية* (ط2). مصر: مكتبة عمار.

20. مالك بن نبي. (1981). *الصراع الفكري في البلاد المستعمرة*. دمشق: دار الفكر.

21. مالك بن نبي. (1991). *القضايا الكبرى* (ط1). الجزائر: دار الفكر.

22. مالك بن نبي. (1978). *المسلم في عالم الاقتصاد*. بيروت: دار الشروق.

23. مالك بن نبي. (2006). *بين الرشاد والتيه* (ط6). دمشق: دار الفكر.

24. مالك بن نبي. (1991). *تأملات* (ط5). الجزائر: دار الفكر.

25. مالك بن نبي. *شروط النهضة*. قطر: وزارة الفنون والثقافة والتراث.

26. مالك بن نبي. (1992). *فكرة الأفرو-آسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ* (ط3). (ترجمة عبد الصبور شاهين، المترجمون) الجزائر: دار الفكر.

27. مالك بن نبي. (2006). *فكرة كومنولث إسلامي* (ط6). دمشق: دار الفكر.

28. مالك بن نبي. (1991). *في مهب المعركة: إرهاصات الثورة* (ط1). الجزائر: دار الفكر.

29. مالك بن نبي. (1970). *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*. (ترجمة محمد عبد العظيم علي، المترجمون) القاهرة: دار الدعوة.

30. مالك بن نبي. (1984). *مشكلة الثقافة* (ط4). (ترجمة عبد الصبور شاهين، المترجمون) دمشق: دار الفكر.

31. مالك بن نبي. (2006). *ميلاد مجتمع* (ط6). دمشق: دار الفكر.

32. مالك بن نبي. (1986). *وجهة العالم الإسلامي* (الإصدار ط5). (ترجمة عبد الصبور شاهين، المترجمون) الجزائر: دار الفكر.

33. محمد عبد السلام الجفائري. (1990). مفاهيم أساسية في فكرة مالك بن نبي. *مجلة كلية الدعوة الإسلامية* (العدد07).

34. محمود عبد المولى. (1990). *العالم الثالث ونمو التخلف* (ط2). تونس: الدار العربية للكتاب.

35. نورالدين بوكروح. (بلا تاريخ). *فكر مالك بن نبي: 21 القابلية للاستعمار*. تاريخ الاسترداد 07 10, 2018، من http://aljazairalyoum.com/.